مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية
ت : ٣٤١٠٥٠٦ - ٣٤١٦٠٤٧ - ٥٨٩٦٧٩٨

رأس الإمام الحسين
بمشهده بالقاهرة تحقيقاً مؤكداً حاسماً

آراء وأدلة وشهادة العلماء والمؤرخين
المنصفين الراسخين فى العلم
مع معالم ومعلومات هامة ...

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد
محمد زكي إبراهيم
رائد العشيرة المحمدية
رحمه الله تعالى رحمة واسعة

مطبوعات ورسائل العشيرة المحمدية
ت: ٣٤١٠٥٠٦ - ٣٤١٦٠٤٧ - ٥٨٩٦٧٩٨

رأس الإمام الحسين
بمشهده بالقاهرة تحقيقاً مؤكداً حاسماً

آراء وأدلة وشهادة العلماء والمؤرخين
المنصفين الراسخين فى العلم
مع معالم ومعلومات هامة ...

لفضيلة الأستاذ الإمام السيد
محمد زكي إبراهيم
رائد العشيرة المحمدية
رحمه الله تعالى رحمة واسعة

الباب الثالث

رأس الإمام الحسين

بمشهده بالقاهرة تحقيقا مؤكداً حاسما

****

★ آراء وأدلة وشهادة العلماء والمؤرخين المنصفين الراسخين فى العلم .

★ مع معالم ومعلومات هامة ...

****

أولاً : رأى المؤرخون وكتاب السيرة :

يجمع المؤرخون وكتاب السيرة (سوى المتمسلفة) على أن جسد الحسين رضي الله عنه دفن مكان مقتله فى كربلاء ، أما الرأس الشريف فقد طافوا به حتى استقر بـ (عسقلان) الميناء الفلسطينى ، على البحر الأبيض ، قريباً من موانى مصر وبيت المقدس .

وقد أيد وجود الرأس الشريف بـ (عسقلان) ونقله منها إلى مصر جمهور كبير من المؤرخين والرواد منهم : ابن ميسر ، والقلقشندى ، وعلى بن أبى بكر الشهير بالسايح الهروى ، وابن إياس ، وسبط الجوزى .

وممن ذهب إلى دفن الرأس الشريف بمشهد القاهرة المؤرخ العظيم عثمان مدوخ إذ قال : إن الرأس الشريف له ثلاثة مشاهد تزار ... مشهد بدمشق دفن به الرأس أولاً [1] .. ثم مشهد بعسقلان بلد على البحر الأبيض ، نقل إليه الرأس من دمشق ، ثم نقل إلى المشهد القاهرى لمصر بين خان الخليلى والجامع الأزهر ..

ويقول المقريزى: أن رأس الحسين رضي الله عنه نقلت من عسقلان إلى القاهرة فى ٨ جمادى الآخرة عام ٥٤٨ هـ ، وبقيت عامًا مدفونة فى قصر الزمرد حتى أنشئت له خصيصًا قبة هى المشهد الحالى .. وكان ذلك عام ٥٤٩ هـ.

ثانياً : شهادة الدكتور الحسينى هاشم :

يقول فضيلة الشيخ الحسينى هاشم وكيل الأزهر وأمين عام مجمع البحوث رحمه الله ـ تعليقاً على ما دسه النساخون على كتاب الإمام السيوطى (حقيقة السنة والبدعة) ما ملخصه :

وقد أكد استقرار الرأس بمصر أكبر عدد من المؤرخين منهم (ابن إياس) فى كتابه ، و(القلقشندى) فى صبح الأعشى ، و(المقريزى) الذى عقد فصلاً فى خططه المسمى (المواعظ والاعتبار) ص٤٢٧ ،و ص ٤٢٨، وص ٤٣٠ يؤكد رواية (ابن ميسر) أن الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى هو الذى حمل الرأس الشريف على صدره من عسقلان ، وسعى به ماشياً حيث وصل مصر يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هجرية ، وحلت الرأس فى مشواها الحالى من القصر يوم الثلاثاء ١٠ من جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هجرية عند قبة باب الديلم ، حيث الضريح المعروف الآن بمسجده المبارك .. وكذا (السخاوى) - رحمه الله - قد أثبت رواية نقل رأس الحسين إلى مصر.

---

(١) يقول أكثر المؤرخين : إن مسجد الرأس بدمشق كان منزلاً من المنازل التى أقام بها حملة الرأس لتخويف الناس ولم يكن مدفناً للرأس أبداً .

ثالثا: الرأى الرسمى لمصلحة الآثار :

تقول الأستاذة (عطيات الشطوى) المفتشة الأثرية الثقة والمشرفة المقيمة على تجديد القبة الشريفة فى عصرنا :

تؤكد وثائق هيئة الآثار أن رأس الحسين رضي الله عنه نقل من عسقلان إلى القاهرة كما يقول المقريزى فى يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة الموافق (٣١ أغسطس سنة ١١٥٣م) ، وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها ، وحضر فى القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور (الموافق ٢ سبتمبر ١١٥٣م) .

ويضيف المقريزى : فقدم به (الرأس) الأستاذ مكنون فى عشارى من عشاريات الخدم ،وأنزل به إلى الكافورى (حديقة) ،ثم حمل فى السرداب إلى قصر الزمرد ، ثم دفن فى قبة الديلم بباب دهليز الخدمة (المقر الحالى).

وفى العصر الأيوبى أنشأ أبو القاسم بن يحيى بن ناصر السكرى المعروف بالزرزور منارة على باب المشهد سنة ٦٣٤هـ (١٢٣٦م) ، وهى منارة مليئة بالزخارف الجصية والنقوش البديعة ، وهى تعلو الباب الأخضر ، وقد تهدم معظمها ، ولم يبق منها إلا القاعدة المربعة ، وعليها لوحتان تأسيسيتان (وقد جددت وهى موجودة الآن) .

وقد احترق هذا المشهد فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٠هـ ، وقد قام بترميمه بعد هذا الحريق القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى ، ووسعه وألحق به ساقية وميضأة ، ووقف عليه أراضى خارج الحسينية قرب الخندق (ويقول بعض بحاثة المؤرخين : إن الذى أحرق المشهد هم اليهود بمصر) .

واستمرت عمليات التوسع والإضافة حتى جاء الأمير كتخدا فقام بإصلاحات كثيرة ، ففى سنة ١١٧٥هـ أعاد بناء المسجد وعمل به صهريجاً

وحنفية بفسحة ، وأضاف إليه إيوانين . كما رتب للقائمين عليه مرتبات كثيرة ظل معمولاً بها حتى سنة ١٢٠٦هـ.

ولما قدم إلى مصر السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٩هـ وزار المقام الحسينى الشريف ، أمر الخديوى إسماعيل بعمارته وتشييده على أتم شكل وأحسن نظام ، وقد استغرقت هذه العملية عشر سنوات إذ تمت سنة ١٢٩٠هـ ، أما المنارة التى فى جنوب غربى المسجد ؛ فقد تمت سنة ١٢٩٥هـ (وهى غير المنارة الأيوبية التى فى جنوب شرقى المسجد) .

أما فى عهد ثورة ٢٣ يوليه سنة ١٩٥٢م فقد عنيت عناية خاصة بتجديد مسجد الحسين وزيادة مساحته وفرشه وإضاءته حتى يتسع لزائريه والمصلين به. وقد بدأت هذه التجديدات سنة ١٩٥٩م، وتمت سنة ١٩٦٣م وبلغت جملة تكاليفها ٨٣ ألف جنيه.

★<★>★

رابعا: دليلان آخران :

الدليل الأول :

لقد أراد الله أن يقطع حجة القائلين بعدم وجود الرأس بالقاهرة، وأن يسمهم على الخرطوم ، فقد عثر الباحثون بالمتحف البريطانى بلندن من سنوات [أشرنا إليها بمجلة المسلم فى حينها] على نسخة خطية محفوظة من « تاريخ آمد » لابن الأورق المتوفى عام (٥٧٢هـ) ، وهى مكتوبة عام (٥٦٠هـ) - أى قبل وفاة المؤرخ باثنتى عشرة سنة - ومسجلة بالمتحف المذكور تحت رقم (٥٨٠٣) شرقيات ، وقد أثبت صاحب هذا التاريخ بالطريق اليقينى أن رأس الحسين قد نقل من عسقلان إلى مصر عام (٥٤٩هـ) ، أى فى عهد المؤرخ ، وتحت سمعه وبصره ، وبوجوده ومشاركته ضمن جمهور مصر العظيم فى استقبال الرأس الشريف.

ولا نظن أن مخلوقاً يتمتع بذرة من الإنصاف يمارى فى وجود الرأس

الشريف بمصر بعد ذلك ، أو يمارى فى أن ظهور هذه النسخة الخطية من هذا الكتاب فى هذا الوقت إنما هو كرامة لأهل البيت جميعاً ، وللحسين ﷺ بخاصة ، ولو علم (ابن تيمية) وهو خصم الحسين الأخصم بذلك لتاب إلى الله من قوله أنها (رأس يهودى بمصر) ، سامحه الله ، وبصَّر السائرين على منهجه ، بما هو أهدى وأندى وأجدى .

الدليل الثانى :

معروف أن الدولة الفاطمية بمصر كانت محل تناظر وتنافس بالغ ومخاصمة مع الدولة العباسية بالعراق ، وكانت كل دولة منها تتسقط للأخرى مواقع الزلل ، ومواطن الأخطاء للتشهير بها ، وإضعاف مركزها ، وبخاصة فى مثل هذه الموضوعات التى يتأثر بها الجماهير ، مهما كان الخلاف بينهم فى أبناء على ، وأبناء العباس ، فكان صمت العباسيين وغيرهم (دولة وشعباً) على هذا الحدث الخطير أكبر دليل على صحة وجود الرأس بعسقلان ، ثم على صحة نقلها من عسقلان إلى مصر . .

وقد غاب هذا الدليل عن المتحدثين على كثرتهم فى هذا الجانب رغم أنه دليل قاطع حاسم.

★ ‹★› ★

خامساً : شهود عدول مع وجود الراس الشريف بالقاهرة :

نقل فى أواخر (بحر الأنساب) ما ملخصه (بتصرف) أن العلامة الشبراوى (شيخ الأزهر لوقته) ألف كتاباً أسماه (الإتحاف) أثبت فيه وجود الرأس بمقره المعروف بالقاهرة يقيناً .. وذكر أن ممن أثبتوا ذلك السادة الأعلام :

(١) الإمام المحدث الحافظ زكى الدين المنذرى.

(٢) الإمام المحدث الحافظ ابن دحية.

(٣) الإمام المحدث الحافظ نجم الدين الغيطى.

(٤) الإمام مجد الدين بن عثمان.

(٥) الإمام محمد بن بشير.

(٦) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر.

(٧) القاضى عبد الرحيم.

(٨) كما أكد هذا الشيخ عبد الله الرفاعى المخزومى فى مؤلفه .

(٩) والشيخ ابن النحوى فى مؤلفه .

(١٠) والشيخ القرشى فى مؤلفه .

(١١) والشيخ الشبلنجى فى مؤلفه .

(١٢) والشيخ حسن العدوى فى مؤلفه .

(١٣) والشيخ الشعرانى فى أكثر من مؤلف .

(١٤) والشيخ المناوى فى مؤلفه .

(١٥) والشيخ الصبان فى مؤلفه .

(١٦) والشيخ الأجهورى فى مؤلفه .

(١٧) كما أكده الشيخ أبو المواهب التونسى .

(١٨) الشيخ أبو الحسن التمار .

(١٩) الشيخ شمس الدين البكرى .

(٢٠) الشيخ كريم الدين الخلوتى .

وجماهير الصوفية على اختلاف المراتب والأسماء والمشارب والأوطان، مما يرفع الحكم إلى درجة التواتر ؛ لعدم التسليم بتواطؤ كل هؤلاء على الكذب أو على الجهل والغفلة والتعصب ، بالإضافة إلى كبار المؤرخين الذين أسلفنا ذكرهم .

وتم الإجماع على أن الرأس الطاهر وصل إلى القاهرة من عسقلان فى (يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة خمسمائة وتسع وأربعين) فحمله

الأمير (سيف المملكة مكين) والقاضى (ابن مسكين) إلى السرداب الخليفى العظيم بقصر الزمرد ، فحفظ مؤقتاً بالسرداب من عاشر جمادى الآخرة فى خلافة (الفائز الفاطمى) على يد وزيره الصالح (طلائع بن رزيك) ، حتى بنى القبر الحالى والقبة عند باب (الديلم) ، الواقع وقتئذ فى الجنوب الشرقى من القصر الكبير ، والمعروف الآن بالباب الأخضر ، فحمل الرأس الشريف من السرداب العظيم إلى هذا القبر ، ودفن به فى الثلاثاء الأخير من ربيع الآخر على المشهور من العام التالى ، وهو موعد الذكرى السنوية الكبرى بمصر للإمام الحسين رضي الله عنه .

★ ‹★› ★

سادساً : قول فصل فى الموضوع :

تحقيق علمى حاسم

لأختنا فى الله الدكتورة الأثرية الحاجة سعاد ماهر

عميدة كلية الآثار (سابقاً)

وفى كتاب (أولياء الله الصالحون) للعلامة الأثرية المحققة الدكتورة سعاد ماهر تحدثت بإفاضة عن موضوع الرأس الشريف ، فجمعت بين العلم والمنطق والعقل والعاطفة .

وبعد أن فندت الروايات التى تقول بدفن الرأس بعيداً عن القاهرة أفردت بداية من صحيفة (٣٧٤) من الكتاب المذكور هذا التحقيق العظيم ، الذى تقول فيه ما نصه :

ولكن ما السبب فى اختيار مدينة عسقلان بالذات لكى تكون مقراً للرأس ؟ وهى مدينة لم تحدثنا كتب التاريخ بأنها كانت مركزاً من مراكز الشيعة (مثلاً) . . اللهم إلا إذا أريد أن يكون الرأس فى مكان قريب من (بيت المقدس) من جهة ، وقريب من (الساحل) من جهة إخراجها

من (المشرق) ، حيث لاقى الشيعة الشئ الكثير من اضطهاد الأمويين أولاً ، ثم العباسيين ثانياً ، ليمكن نقلها فى يسر إلى (شمال أفريقيا وبلاد المغرب مثلاً) حيث اتجه عدد عظيم من الشيعة !!! .

ومهما يكن من أمر فقد بات فى حكم المؤكد أنه لم يكن فى القرن الخامس الهجرى وجود للرأس فى دمشق ؛ بل كان فى مدينة عسقلان للأسباب الآتية :

أولاً - يؤيد وجود الرأس بعسقلان فى العصر الفاطمى نص تاريخى منقوش على منبر (المشهد) الذى أعاد بناءه بدر الجمالى وأكمله ابنه الأفضل فى عصر الخليفة المستنصر .

ولما نقل الرأس إلى مصر ، نقل المنبر إلى المشهد الخليلى بالقدس ، والمنبر ما زال موجوداً حتى الآن هناك .

أما النص الكتابى فقد جاء فيه :

« الحمد لله وحده لا شريك له ، محمد رسول الله ، علىٌّ ولى الله ، صلى الله عليهما وعلى ذريتهما الطاهرة ، سبحان من أقام لموالينا الأئمة مشهداً ، مجداً رفع راية ، وأظهر معجزاً بين كل وقت وآية ، وكان من معجزاته تعالى إظهار رأس مولانا الإمام الشهيد أبى عبد الله الحسين بن على بن أبى طالب صلى الله عليه وعلى جده وأبيه وأهل بيتهم ، بموضع بعسقلان كان الظالمون ستروه فيه ، وإظهاره الآن شرفاً لأوليائه الميامين ، وانشراح صدور شيعته المؤمنين ، ورزق الله فتى مولانا وسيدنا معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلى الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين » .

ثانياً - جاء فى المقريزى (٤٠٨/١) أن المؤرخ ابن المأمون ذكر فى حوادث سنة ٥١٦ هـ أن الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله أمر بإهداء قنديل من ذهب وآخر من فضة إلى مشهد الحسين ، وأهدى إليه الوزير المأمون قنديلاً ذهبياً له سلسلة فضية .

ثالثاً - لو كان الرأس موجوداً فى مكان آخر غير عسقلان ، سواء فى

الشريف بمصر بعد ذلك ، أو يمارى فى أن ظهور هذه النسخة الخطية من هذا الكتاب فى هذا الوقت إنما هو كرامة لأهل البيت جميعاً ، وللحسين رضي الله عنه بخاصة ، ولو علم (ابن تيمية) وهو خصم الحسين الأخصم بذلك لتاب إلى الله من قوله أنها (رأس يهودى بمصر) ، سامحه الله ، وبصّر السائرين على منهجه ، بما هو أهدى وأندى وأجدى .

الدليل الثانى :

معروف أن الدولة الفاطمية بمصر كانت محل تناظر وتنافس بالغ ومخاصمة مع الدولة العباسية بالعراق ، وكانت كل دولة منها تتسقط للأخرى مواقع الزلل ، ومواطن الأخطاء للتشهير بها ، وإضعاف مركزها ، وبخاصة فى مثل هذه الموضوعات التى يتأثر بها الجماهير ، مهما كان الخلاف بينهم فى أبناء على ، وأبناء العباس ، فكان صمت العباسيين وغيرهم (دولة وشعباً) على هذا الحدث الخطير أكبر دليل على صحة وجود الرأس بعسقلان ، ثم على صحة نقلها من عسقلان إلى مصر . .

وقد غاب هذا الدليل عن المتحدثين على كثرتهم فى هذا الجانب رغم أنه دليل قاطع حاسم.

★ ‹★› ★

خامساً: شهود عدول مع وجود الرأس الشريف بالقاهرة :

نقل فى أواخر (بحر الأنساب) ما ملخصه (بتصرف) أن العلامة الشبراوى (شيخ الأزهر لوقته) ألف كتاباً أسماه (الإتحاف) أثبت فيه وجود الرأس بمقره المعروف بالقاهرة يقيناً .. وذكر أن ممن أثبتوا ذلك السادة الأعلام :

(١) الإمام المحدث الحافظ زكى الدين المنذرى.

(٢) الإمام المحدث الحافظ ابن دحية.

(٣) الإمام المحدث الحافظ نجم الدين الغيطى.

(٤) الإمام مجد الدين بن عثمان.

(٥) الإمام محمد بن بشير.

(٦) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر.

(٧) القاضى عبد الرحيم.

(٨) كما أكد هذا الشيخ عبد الله الرفاعى المخزومى فى مؤلفه .

(٩) والشيخ ابن النحوى فى مؤلفه .

(١٠) والشيخ القرشى فى مؤلفه .

(١١) والشيخ الشبلنجى فى مؤلفه .

(١٢) والشيخ حسن العدوى فى مؤلفه .

(١٣) والشيخ الشعرانى فى أكثر من مؤلف .

(١٤) والشيخ المناوى فى مؤلفه .

(١٥) والشيخ الصبان فى مؤلفه .

(١٦) والشيخ الأجهورى فى مؤلفه .

(١٧) كما أكده الشيخ أبو المواهب التونسى .

(١٨) الشيخ أبو الحسن التمار .

(١٩) الشيخ شمس الدين البكرى .

(٢٠) الشيخ كريم الدين الخلوتى .

وجماهير الصوفية على اختلاف المراتب والأسماء والمشارب والأوطان، مما يرفع الحكم إلى درجة التواتر ؛ لعدم التسليم بتواطؤ كل هؤلاء على الكذب أو على الجهل والغفلة والتعصب ، بالإضافة إلى كبار المؤرخين الذين أسلفنا ذكرهم .

وتم الإجماع على أن الرأس الطاهر وصل إلى القاهرة من عسقلان فى (يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة خمسمائة وتسع وأربعين) فحمله

الشام أوخارجها ، لما عزّ على خلفاء الدولة الفاطمية الوصول إليه ، وهم كما نعلم من الشيعة الإسماعيلية ، وقوتهم الدينية تعتمد فى أكثر ما تعتمد على نسبهم لفاطمة الزهراء . . أما قوتهم السياسية فقد فاقت الدولة العباسية ، إذ امتدت الدولة الفاطمية من مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن شرقاً إلى شمال أفريقيا وبلاد المغرب غرباً ، بل إنه حدث فى عهد الخليفة المستنصر أن نادى البساسيرى أحد كبار الشيعة ، بسقوط الدولة العباسية فى بغداد والبصرة وواسط وجميع الأعمال ، وذكر اسم الخليفة المستنصر الفاطمى على منابرها فى خطبة الجمعة ، وفى هذا أكبر شاهد على تلك القوة .

رابعاً - ما ذكره عثمان مدوخ فى كتاب (العدل الشاهد) من العثور بالقرب من باب الفراديس على طاق مسدود بحجر عليه كتابة تفيد أنه مشهد الحسين فلما رفع الحجر وجدت الفجوة خالية من الدفن ، مما يؤيد نقل الرأس منها .

خامساً - جاء فى المقريزى (٢ / ١٧١) : « وبنى طلائع مسجداً لها (يعنى الرأس) خارج باب زويلة من جهة الدرب الأحمر ،وهو المعروف بجامع الصالح طلائع ، فغسلها فى المسجد المذكور على ألواح من خشب » يقال : أنها لا زالت موجودة بهذا المسجد.

فمما لا شك فيه أنه قد أُحضرت إلى القاهرة رأس الإمام الحسين ، وليس من مستغرب أن تكون قد غسلت فى مسجد الصالح طلائع ، ويؤيد هذه الرواية ما كشفت عنه الحفائر التى أجريت سنة (١٩٤٥) ، من وجود مبان بجوار الجهة الشرقية للواجهة البحرية لجامع الصالح طلائع ، عليها كتابات أثرية منها (**أدخلوها بسلام آمنين**) ، ومثل هذه العبارة تكتب عادة على مداخل المدافن ، ولذلك فإنه من المرجح أن تكون هذه الكتابات من بقايا المشهد الذى بناه الصالح طلائع مجاوراً لمسجده لكى يدفن فيه رأس الحسين (**كما ذكر ابن دقاق**).

سادساً - جاء فى كتاب (العدل الشاهد فى تحقيق المشاهد) : « أن المرحوم عبد الرحمن كتخدا القزدغلى ، لما أراد توسيع المسجد المجاور للمشهد الشريف (سنة ١١٧٥هـ) ، قيل له : إن هذا المشهد لم يثبت فيه دفن ، فأراد تحقيق ذلك فكشف المشهد الشريف بمحضر من الناس ، ونزل فيه (**الأستاذ الجوهرى الشافعى والأستاذ الشيخ الملّوى المالكى**) ، وكانا من كبار العلماء العاملين ، وشاهدا ما بداخل البرزخ ، ثم ظهرا بما شاهداه ، وهو كرسى من الخشب الساج ، عليه طشت من ذهب ، فوقه ستارة من الحرير الأخضر ، تحتها كيس من الحرير الأخضر الرقيق ،داخله الرأس الشريف ، فانبنى على إخبارهم تحقيق هذا المشهد ، وبنى المسجد والمشهد ، وأوقف عليه أوقافاً يصرف على المسجد من ريعها » .

★〈★〉★

هذا ، ولا أجد فى هذا المقام خيراً من العبارة التى جاءت فى المقريزى أختم بها موضوع الرأس الشريف :

« ولحفظة الآثار وأصحاب الحديث ونقلة الأخبار ، ما إذا طولع وقف منه على السطور ، وعلم منه ما هو غير المشهور ، وإنما هذه البركات مشاهدة مرئية ، وهى بصحة الدعوى ملية ، والعمل بالنية » .

أو كما قال ابن الجوزى :

« ففى أى مكان كان رأس الحسين أو جسده فهو ساكن فى القلوب والضمائر ، قاطن فى الأسرار والخواطر » (انتهى).

نقول : وبعد هذا التحقيق العلمى الحاسم (وما قدمناه قبله لم يبق وجه للملاحاة والجدل حول هذا الموضوع ، ويجب العلم بأنه ليس من أمهات العقائد حتى تتاجر به (هيئات المنتفعين بالدعوة الوهابية) فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، والحسين هو الحسين ، أمس واليوم وغداً .. إلى يوم القيامة ، ولينطح الصخر من أراد أن يدمر رأس نفسه.

★〈★〉★

١) الراس والمشهد والقبة :

يقول المقريزى : نقلت رأس الحسين رضي الله عنه من عسقلان إلى القاهرة فى يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة الموافق (٣١ أغسطس سنة ١١٥٣م) ، وكان الذى وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها ، وحضر فى القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخر المذكور (الموافق ٢ سبتمبر سنة ١١٥٣م) . .

ويضيف المقريزى : « فقدم به (الرأس) الأستاذ مكنون فى عشارى من عشاريات الخدمة ، وأنزل به إلى الكافورى (حديقة) ، ثم حمل فى السرداب إلى قصر الزمرد ، ثم دفن فى قبة الديلم بباب دهليز الخدمة.

ويضيف ابن عبد الظاهر : « إن طلائع ابن رزيك بنى جامعه خارج زويلة ليدفنه (الرأس) به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك ، وقالوا : لا يكون ذلك إلاّ عندنا ، فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخام إليه ، وكان ذلك فى خلافة (الفائز) على يد (طلائع) فى سنة تسع وأربعين وخمسمائة . .

ويفهم من هذين النصين أن الرأس بقى عاماً مدفوناً فى قصر الزمرد ، حتى أُنشئت له خصيصاً قبة (هى المشهد الحالى) وذلك سنة ٥٤٩هـ .

قالوا : ولما جاءت الدولة الأيوبية جعل صلاح الدين بالمشهد حلقة تدريس وفقهاء ، وفوضها للفقيه البهاء الدمشقى ، وما كان ليفعل ذلك لولا تأكده من وجود الرأس الشريف فى هذا المكان.

ولما تولى الوزارة معين الدين حسين ابن شيخ الشيوخ ابن حمويه فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب بنى إيواناً للتدريس ، وبيوتاً للفقهاء فى مكان المسجد الحالى بجوار المشهد ، ثم توالت التجديدات والصيانات والإصلاحات والتوسعات بهذا الحرم المصرى ، ولا زالت تتوالى حتى اليوم وغداً بإذن الله.

٢) وصف القبة المباركة:

وقد كتب ابن جبير وصفاً شاملاً دقيقاً للقبة والمدرسة جاء فيه :

« فمن ذلك المشهد العظيم الشأن الذى بمدينة القاهرة حيث رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضي الله عنه ، وهو فى تابوت من فضة مدفون تحت الأرض ، قد بنى عليه بنيان جميل يقصر الوصف عنه ، ولا يحيط الإدراك به مجلل بأنواع الديباج ، محفوف بأمثال العمد الكبار شمعاً أبيض ، ومنه ما هو دون ذلك ، قد وضع أكثره فى أتوار فضة خالصة ومذهبة ، وعلقت عليه قناديل فضة ، وحفّ أعلاه كله بأمثال (التفافيح) ذهباً فى مصنع شبيه الروضة ، يقيد الأبصار حسناً وجمالاً ، فيه من أنواع الرخام المجزع الغريب الصنعة البديع الترصيع مما لا يتخيله المتخيلون ، والمدخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثلها فى التأنق والغرابة ، وحيطانه كلها رخام على الصفة المذكورة ، وعلى يمين هذه الروضة المذكورة وشمالها ، وهما على تلك الصفة بعينها ، والأستار البديعة الصنعة من الديباج معلقة على الجميع ».

★<★>★

٣) القبة فى عصرها الحديث:

وفى عصرنا هذا اهتمت الدولة بكل هيئات الاختصاص فيها بتجديد هذه القبة المباركة على أحدث الفنون التكنولوجية. . فحقنت الحوائط واستبدلت بالقبة القديمة قبة عظيمة ،صبتها من معدن خاص لا يقبل الصدأ ، ولا التغير ، قامت بصنعه الشركات الألمانية بالمواصفات التى طُلبت منها ،كما قامت بإعادة النقوش والرخام الداخلى على ما كان عليه ، حفظاً للصورة الأثرية المباركة ، وقد شاركت جماعة (البهرة الهندية) بفرش الضريح بأرقى أنواع المرمر الشفاف. .

وقد حضر افتتاح الزيارة بالقبة الجديدة وزراء الدولة وكبار علمائها ،

ورجال مجلسى الشعب والشورى ، وقد تحدث السيد وزير الأوقاف وقتئذ فضيلة الدكتور الأحمدى أبو النور أستاذ الدراسات العليا بالأزهر ، كما تحدث كبار رجال الدولة ، بينما كان الميدان والطرقات من حول المسجد مليئة بأفراد الشعب من كل الطبقات يهللون ويكبرون .

★ ‹★› ★

٤) أضرحة القبة الشريفة :

وقد أبلغنى الأخ المرحوم الشيخ (عرفة الكبير شيخ المسجد الحسينى السابق) وهو والد الأخ الشيخ محمد عرفة الشيخ الحالى للمسجد الحسينى ، وكان رحمه الله رجلاً مهذباً صالحاً ثقة ترجى بركاته ، أبلغنى أنه عرف من سابقيه عند تجديد المسجد الحسينى بأمر السلطان الخليفة عبد العزيز خان فى زيارته لمصر ، وتخليد ذكرى هذه الزيارة بتسمية (شارع عبد العزيز) الممتد بين ميدان العتبة الخضراء وميدان الجمهورية (عابدين) . .

قال : « كان الضريح الطاهر ينزل الزوار إليه بعدد من السلالم ، فأنشأ المهندسون سقفاً عظيماً على مستوى أراضى المسجد فوق القبر فتكونت فوق القبر غرفة وضع فيها مقصورة صغرى ، وبعض التحف القيمة على سبيل التذكار ، ونقلت المقصورة الخشبية الكبرى إلى أعلى ، وأبلغنى أنه رأى هذه الغرفة ، ثم نقلت المقصورة الخشبية الكبرى إلى ضريح (السيدة رقية بنت على الرضا) فى منطقة السيدة نفيسة ، ولا تزال إلى الآن ، واستبدل بها المقصورة النحاسية التى ظلت شارة جليلة على الضريح ، حتى أهدى سلطان البهرة المقصورة الفضية الموجودة الآن على القبر ، وهى مكفتة بالذهب ومزينة بالأحجار الكريمة ، وقد قبلتها مصر بمطلق الإعزاز ، وبالغ التكريم لصاحب القبر العظيم ، ولكن على الزائر ألا ينشغل أبداً بهذه المظاهر ، وأن يتخطاها إلى التزام الحكمة الشرعية فى الزيارة بشروطها المقررة عند فقهاء الإسلام وعند أهل الله الصالحين ؛ فهذه المظاهر من دلائل

المحبة ، كما ميّز سيدنا الرسول ﷺ قبر عثمان بن مظعون دون بقية قبور الأصحاب بحجر كبير ليتعرف به عليه ، حباً فيه . . ولكل زمان أحكامه ومقتضياته المتغيرة ، القابلة لمختلف أحكام الشرع فيما عدا الفرائض والعبادات . . والحمد لله رب العالمين.

★ ‹★› ★

٥) البناء الحالى للمسجد :

ولما قدم مصر السلطان عبد العزيز سنة ١٢٧٩ هـ ، وزار المقام الحسينى الشريف أمر الخديو إسماعيل بعمارته وتشييده على أتم وأحسن نظام ، وقد استغرقت هذه العملية بإشراف راتب باشا عشر سنوات إذ تمت سنة ١٢٩٠هـ ، وقد أسهب على مبارك فى خططه فى وصف المسجد ، وهو البناء الحالى ، وما بذله الخديو إسماعيل الذى فتح بجوار المشهد (سنة ١٢٩٥ هـ / سنة ١٨٧٨ م) شارع السكة الجديدة من آخر الموسكى شرقًا حتى وصل إلى تلول البرقية المعروفة بـ (الدرّاسة) الآن ، و(الموسكى) نسبة إلى (موسك) أحد كبار الدولة الأيوبية الذى أنشأ هذا الشارع ، وقد انتقد على مبارك سوء التصرف الهندسى الذى قام على أساسه المسجد والواجهة والنوافذ والأبواب ، أشد الانتقاد ، وتابعه كثيرون ،فإنها دون ما كان يرجى لهذا المشهد العظيم .

★ ‹★› ★

٦) قاعة المخلفات النبوية :

وقد أنشئت للمخلفات النبوية قاعة خاصة جنوبى المرقد الحسينى الشريف ، بُنِيَتْ على أحسن طراز ،وزُيِّنَتْ أفخر زينة . . وللقاعة الشريفة بابان : أحدهما إلى المسجد ،والآخر يؤدى إلى القبة . .

وقد كتب على جدران الغرفة من الداخل على الرخام : البسملة وسورة

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ① وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ② الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ③ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾ . .

وبعد ذلك النص الآتى : « ذكر ما هو محفوظ بهذه الخزانة المباركة من آثار المصطفى ﷺ وآثار خلفائه رضى الله عنهم أجمعين ، تشمل هذه الخزانة من الآثار النبوية على قطعة من قميصه الشريف ، ومكحلة ، ومرود ، وقطعة من القضيب ،وشعرتين من اللحية الشريفة ، وبها أيضًا مصحفان كريمان بالخط الكوفى ، أحدهما بخط سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والآخر بخط سيدنا الإمام علىّ كرم الله وجهه » وهكذا كتب » .

وكانت هذه المخلفات بجامع أثر النبى بمصر القديمة قبل نقلها إلى هذه القاعة ، بعد التأكد من صحة نسبها إلى سيدنا رسول الله ﷺ ،ونقلها من مكان إلى مكان .

وبمناسبة تجديد القبة أهدى رجال (البهرة) الهنديون للباب الفاصل بين القبة الشريفة وحجرة المخلفات بابًا جديدًا مغلفًا بالذهب الخالص ، ومكفتًا بالفضة والأحجار الكريمة ، تقديرًا منهم للآثار النبوية والرأس الشريف .

★ ‹★› ★

٧) واجهة المسجد وجهود العشيرة المحمدية :

منذ أكثر من أربعين عامًا و(العشيرة المحمدية) ـ كما هو مسجل بمجلتها (المسلم) ـ تدعو وتجاهد وتكافح عمليًا فى سبيل وصل ميدانى الحسين والأزهر ومسجديهما ، وإزالة جميع المبانى بينهما حتى يكون هناك ميدان مناسب لإنشاء واجهة عظيمة للمشهد الحسينى تتناسب ومنزلته فى القلوب ، ومع توالى الإلحاح استجابت بعض الجهات المسئولة إلى ما استطاعت ، حتى قررت وزارة الأوقاف إقامة واجهة جديدة تتقدم الواجهة القديمة بحيث تليق بمنزلة صاحب المقام ، وجعلت طول هذه الواجهة (٤٥)

مترًا وعرضها (٨) أمتار ، وروعى فى الواجهة الجديدة أن تكون أقصر من القديمة ، حتى تظهر شرفات الواجهة القديمة ، وقد صممت هذه الواجهة بحيث جاءت آية فى الدقة والإبداع ، وتتكون الواجهة من حائط تزخرفه سبعة عقود مدببة ، يرتكز كل منها على عمودين من الرخام ، ويحيط بهذه العقود شريط من الزخارف الجصية البديعة ، ويستعمل ثلاث من هذه العقود كأبواب ، أما الأربعة الباقية فهى نوافذ ، وستكون النوافذ مملوءة بالبرنز المخرم ، وكذا النصف العلوى من الأبواب ، وستتدلى من الحوائط المحصورة بين العقود مشكاوات بديعة التصميم ، ويعلو كل منها دائرة من الزخارف الجصية فى توازن وتماثل محكم . . وستقام مئذنة فى الطرف الجنوبى الشرقى مماثلة للمئذنة الموجودة فى الطرف الجنوبى الغربى ومن نفس الطراز ، (مجاورة للمئذنة الأيوبية الموجودة الآن) . .

ثم حالت الظروف المالية الطارئة دون سرعة التنفيذ حتى تبرع أحد كبار المحبين بمبلغ نصف مليون جنيه لتحقيق هذا الحلم الجميل بحق ، وبدأت إحدى الشركات الكبرى عملها فعلاً ، ثم تصدى لها بعض المسئولين بأسباب غير مقنعة إطلاقًا ، فأوقف العمل وحطم الأمل ، ولكن الله غالب على أمره ، وسوف يتحقق الأمل بإذن الله يومًا من الأيام ، والذى أوقف العمل أحد كبار ثورة يوليو ، ولاشك أنه حسن النية ، و (ما شاء الله كان) .

★ ‹★› ★

٨) وصف القبة الحسينية بعد التجديد :

أولاً : التجديد والهدايا :

أعمال الإصلاح والترميم التى تمت فى عصرنا (١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) للقبة الحسينية بعد أن تصدعت القبة القديمة وأزيلت ، وحقنت الجدران بآخر ما عرفه العلم الحديث من مواد التقوية هذه الأعمال تعتبر من أكبر الأعمال المعمارية العظيمة ، والتى انتهت بعد طول معاينات ومناقشات

ومقترحات فنية مختلفة ، استغرقت أكثر من عام كامل بين هيئات الاختصاص .

وقد سبق أن نقلنا وصف القبة القديمة . . وهنا ننقل ملخصاً لوصف القبة الجديدة خدمة للتاريخ ، يضاف ذلك إلى هدية طائفة (البهرة) فى المناسبات ، وقد سبق لهم أن أهدوا المشهد الحسينى هذا الضريح الكبير الفضى الفاخر ، المكفت بالذهب الخالص ذو الأحجار الكريمة ، كما سبق أن أهدوا المشهد الزينبى هذا الضريح النادر والقبة الداخلية الرائعة ، وكلها من الفضة والذهب المرصع بالأحجار الكريمة .

ثانياً : البهرة والهدية الجديدة :

وهؤلاء السادة البهرة من أحفاد رجال الدولة الفاطمية الذين هاجروا إلى اليمن ثم إلى الهند بعد الحركة الأيوبية ، وهناك أصبحت لهم بها مقاطعة هندية مستقلة ثرية ، يحكمها الآن السلطان الدكتور برهان الدين بن السلطان طاهر سيف الدين ، ولذلك هم يقومون بتجديد مسجد الحاكم بأمر الله المعروف بـ (**المسجد الأنور**) بمصر ، على ضخامته ، واتساعه بعد أن تخرب واندثرت أكثر معالمه ، وكان ذلك برغبة أبديتها وأخى فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى عند زيارة السلطان برهان الدين لجمعية الشبان المسلمين فى حفل تكريمه بمناسبة إهدائه مقصورتى الإمام الحسين والسيدة زينب رضي الله عنهما ، أيام كنتُ مقرراً دينياً لجمعية الشبان المسلمين ، و(**البهرة**) كلمة هندية معناها : (**كبار التجار**) أو (**أشراف التجار**) .

وقد ابتلاهم الله فى مصر بمن يشوه عملهم ، ويربطه بالسياسة وسوء النية ، والله أعلم . .

أما هديتهم الجديدة إلى المشهد الحسينى فهى فرش أرض الضريح بالمرمر الأبيض الشفاف الثمين ، ثم تركيب باب عظيم لحجرة المخلفات النبوية ، مصنوع من الذهب والفضة ، ومرصع بفصوص الماس والياقوت ليتشابه مع المقصورة ، وقد بلغت تكاليف خامات هذا الباب أربعة ملايين من الجنيهات

المصرية ، أو تزيد ، فهو يحتوى على ثلثمائة وخمسين كيلو فضة ، وثلاثين كيلو ذهباً ، سوى تكاليف الصناعة الدقيقة الرائعة ، ومصروفات النقل والتركيب وما إليه ، وعند الله حسن الثواب .

ثالثاً : مربع جدران القبة والقبلة :

جدران قبة الإمام الحسين ليست مربعة تماماً ، ولكنها تميل إلى الاستطالة التى تم تربيعها فنياً بالباكية الكبرى التى أقيمت فوق حرم القبة ، وقد كسيت جدرانها حتى ارتفاع طاقية المحراب بالرخام والفسيفساء الزجاجية ، ويتوسط حائط القبلة المحراب ، وعلى جانبيه دخلتان بكل منهما عمود من الرخام السماقى ، ويزخرف باطن المحراب بزخارف هندسية وأشرطة زجاجية من الرخام المشكل .

وبجدران القبة الأربعة خمسة أبواب وشباكان ، بابان بالضلع الشمالى الغربى ويؤديان إلى المسجد ، وبينهما الشباكان ، وبابان بالضلع الشمالى الشرقى ، يؤديان إلى مصلى الحريم ، وباب بالضلع الجنوبى الغربى يؤدى إلى حجرة المخلفات النبوية .

ويتقدم حائط القبلة عقد نصف دائرى يستند على كتفين بحائط القبلة ويعلو التكسية الرخامية لحوائط الضريح شريط خشبى به قصيدة لابن جابر الأندلسى مطلعها :

(فى كل فاتحة للقول معتبرهْ حق الثناء على المبعوث بالبقرهْ)

بأعلى وأسفل هذا الشريط الكتابى شريطان يحتويان على زخارف نباتية متكررة ، ويحيط أعلى مربع القبة شريط كتابى به سورة الفتح من القرآن الكريم .

وتحتوى منطقة انتقال القبة على أربع حنايا ركنية بينها أربعة شبابيك متدلية يحتوى كل منها على شباكين معقودين يعلوهما قمرية ، ويعلو منطقة الانتقال رقبة القبة ، وقد فتح بها ثمانية شبابيك جصية بها زخارف هندسية .

رابعاً : القبة المعدنية والخشبية :

ثم القبة وقد كسى باطنها بألواح من الخشب الثمين ، عليها زخارف نباتية متكررة ، وجميع الزخارف المذكورة ترجع إلى (سنة ١٣١٦هـ) من تجديدات الخديوى عباس حلمى الثانى.

ويعلو المحراب مستطيل به قصيدة نقشت بماء الذهب كتبها الخطاط (البلخى) سنة ١١٨٧هـ مطلعها :

(ألا إن تقوى الله خير البضايع ومن لازم التقوى فليس بضايع)

يعلو ذلك شباك جصى مستطيل به زخارف نباتية ، وتنفيذاً لرأى اللجنة الاستشارية عمل هيكل معدنى عبارة عن قبة قشرية من الصلب العالى الجودة ، وقد تم تصنيعها من سبعة عشر جزءً ، وهى تزيد فى مجملها على عشرين طناً ، مثبتة على أربع وعشرين نقطة ارتكاز فى محيط القبة ، وقد تم تجهيزها من الداخل بحيث يسهل تركيب القبة الأثرية ذات الزخارف النباتية والمصنوعة من الخشب النادر ، وبهذا أصبحت هذه القبة من أندر الآثار الإسلامية فى العالم.

ورضى الله تعالى عن مولانا الإمام أبى عبد الله الحسين ، فكل ما ذكرنا من الخير إنما هو من كراماته الموصولة بمدد الله وفيضه ، وصلى الله على سيدنا ومولانا وشفيعنا جد الحسين ، وعلى من تبعه إلى يوم الدين .

****

قال الشاعر المحب :

قيل : تشقى بحبِّ (آل النبىّ)
قلتُ : هذا كلامُ غاوٍ غبىّ
فاز كلبٌ بحبِّ أصحاب كهف
كيف أشقى بحبِّ (آل النبىّ)

****